ISSN : 2353 – 0030
EISSN: 2602-697X
مجلة أبعاد
مجلد 09، العدد 02، 2022

العنف الرمزي في رحاب الفضاء الإفتراضي
قراءة تحليلية لبعض المنشورات والتعليقات على موقع الفايسبوك

Symbolic violence in the realm of virtual space
Analytical reading of some posts and comments on Facebook

ميلودي محمد *
أنثروبولوجيا
جامعة وهران 02 محمد بن أحمد - الجزائر
miloudianthropologie@gmail.com

ياحي فاطمة الزهراء
أنثروبولوجيا
جامعة وهران 02 محمد بن أحمد - الجزائر
Fatima-141@hotmail.fr

****

تاريخ الإرسال: 2022/06/17 | تاريخ القبول: 2022/12/27 | تاريخ النشر: 2022/12/31

ملخص: لازمت ظاهرة العنف الوجود الإنساني عبر مختلف الأزمنة، وتجلّت في تمظهرات متعددة وأشكال متنوعة، أبسطها من عنف جسدي مباشر يكفله عالم واقعي، إلى عنف آخر تحتضنه بيئة إلكترونية متجاوزة المظهر المادي والفيزيائي، ألا وهو العنف الرمزي، ولهذا أردنا في هذه الورقة البحثية التنقيب في أبجديات الأسباب التي بلورت ظاهرة العنف الرمزي للشباب، والكشف عن مضامينها كالكتابات الفايسبوكية (منشورات، تعليقات) التي أصبحت كفضاء يشهر فيه فاعلوه عنفهم ضد الآخرين. ومن خلال هذا يمكن طرح الإشكالية التالية:

ماهي الأسباب الكامنة التي تقف وراء تفشي انتشار العنف داخل الفضاءات الاجتماعية الافتراضية؟ وما هي معالم وتمظهرات العنف الرمزي عبر الفايسبوك لدى الشباب الجزائري ؟

الكلمات المفتاحية: العنف؛ الشباب؛ العنف الرمزي؛ الفايسبوك؛ العدوانية.

Abstract: The phenomenon of violence has persisted in human existence through different eras, and has manifested itself in multiple manifestations and diverse forms, the simplest of which ranges from direct physical violence guaranteed by a real world, to other violence embraced by an electronic environment that transcends the physical and physical appearance, which is symbolic violence, and for this we wanted in this research dissertation to explore the ABC The reasons that have crystallized the phenomenon of symbolic violence towards young people , and the disclosure of its content, such as Facebook writings (posts, comments), which has become a space in which its authors publicize their violence against others. In this way, the following problem can be posed:

* المؤلف المُرسل: miloudianthropologie@gmail.com

What are the underlying reasons for the spread of violence in virtual social spaces? What are the characteristics and manifestations of symbolic violence through Facebook among Algerian youth?

Keywords: Violence; youth; symbolic violence; Facebook; aggression

1. مقدمة:

تعيش المجتمعات الحالية على وقع حضارة رقمية خلقتها هذه التكنولوجيا الجديدة التي غيّرت المنظومة السياسية والثقافية والاجتماعية للإنسان المعاصر، من خلال توفر شبكة الإنترنت على العديد من الإمتيازات لتنشيط عملية التواصل الإنساني الذي تخطى الحدود الجغرافية والثقافية، عبر الوسائط التفاعلية من صوت وصورة وفيديو وغيرها، كما تصدرت كذلك شبكات التواصل الإجتماعي وعلى رأسها الفايسبوك، الذي أصبحت لديه شعبية كبيرة، خاصة من فئة الشباب الذي يشكّل مورد أساسي في تطور ديناميكية المجتمع، على اعتباره الفئة الأكثر تغلغلا في هذا الوسط الإفتراضي، حيث يسعى دائما لمسايرة المستجدات خاصة على مستوى التقنية التي أنجبتها الحداثة، وأصبح يتجوّل شبابنا اليوم في عرض هذه الفضاءات الإفتراضية التي جردتهم من قيود الواقع المثقل بجملة من الضوابط والأعراف وغيرها، لينفلت في نهاية المطاف ويغوص داخل هذا الفضاء الإلكتروني الذي شكّل لهم بناء منظومة اجتماعية وثقافية جديدة لم تشهدها المجتمعات الواقعية، عن طريق بناء هويات تختلف آليتها عن الهوية الحقيقية، تسمى بالهوية الرقمية التي تعمل بدورها في تمظهر الشخصيات بشتى أشكالها وأنواعها بما تستهوي فكرهم وثقافتهم التي يريدونها، تتجلى معالمها في إعادة بناء هوية إلكترونية عن طريق فتح حسابات للفايسبوك بإسم وصورة وبياناتهم الشخصية مما يروق لهم، التي تتماشى مع طموحات أحلامهم، والتفاعل مع الآخرين داخل هذه البيئة الافتراضية، البعيدة كل البعد عن الرقابة المعمول عليها في العالم الواقعي، الأمر الذي لقي تجاوبا كبيرا من طرف مستخدمي مواقع التواصل الاجتماعي، وفق الإنضمام إلى مختلف الصفحات والمجموعات الافتراضية، وإطلاق العنان لأفكارهم وهواجسهم بكل أبعادها، والتعبير بحرية تامة في تجسيد كل ما يحدث لهم في حياتهم الواقعية، والبوح بكل ما هو مقدس أو مدنس، الأمر الذي عجل بظهور ممارسات التي لا تقل خطورة عن العنف الممارس في العالم الواقعي من تجاوز حدود الآخر كالسب والإساءة والسخرية، حيث بدأ تفاعل هذه الجماعات الافتراضية في تداول بعض السلوكيات

والممارسات التي تخل بقواعد المنظومة الاجتماعية والأخلاقية، على هذا الأساس أدرنا الدراسة والتمحيص في قضية العنف الرمزي المتداول على مواقع التواصل الإجتماعي الذي اتخذ عدة أشكال وقوالب مختلف عبر المنشورات والتعليقات، ومن هنا يمكن طرح الإشكال العام:

ماهي الأسباب الأساسية التي أدت بتفشي ظاهرة العنف الرمزي وانتقاله من الواقعي إلى الافتراضي ؟ وأين تكمن مظاهر العنف الرمزي عبر مواقع التواصل الاجتماعي؟ وماهي آثاره الإفتراضية على العلاقات الاجتماعية في المجتمع الواقعي؟

2 تحيد المفاهيم:

يعتبر المدخل المفاهيمي لأي دراسة علمية، بمثابة المفتاح والرهان الأساسي للشروع في عملية البحث، خاصة في حقل العلوم الاجتماعية، ومن هنا يتوجب علينا الإستناد إلى ضبط هذه المفاهيم على النحو التالي:

1-2 مفهوم العنف:

يعرف سلمان العودة العنف بأنه: قد يوجد وينمو في أي مجتمع، لأنّ أي مجتمع إنساني لا يمكن تصوره مثاليا، نظيفا، عصيا على النزعات السلبية، إلا أن إتساع دائرة العنف وضيقها وطول بقائها أو قصره مرهون بعوامل عديدة، فبعض البيئات حاضنة ومؤهلة لإنتاج العنف، أو لاستقباله، لأنها تفتقد عنصر (الممانعة). (سلمان، ال، 2010، ص 50-51).

إذن العنف هو عبارة عن سلوك يمتلك القوة لإيذاء الآخرين، وقد يتخذ أشكالا سواء بالكلام أو بالضرب أو القتل وغيرها. كما أن العنف قد تكفله وتحتضنه بيئة تكون متسببة في بروزه، لأن البيئة التي يعيش فيها شبابنا اليوم تختلف عن البيئة التي عاش فيها أجدادنا وآبائنا، حيث أن لكل جيل عصره وثقافته تتكون مع ميلاد الحضارة التي يعيش فيها،« فثورة التكنولوجيا بالأخص ثورة الاتصالات والانترنت تؤثر في تعلم الإنسان وتربيته وتدريبه وتجعل عامل السرعة في التأقلم مع التغيير» . (محمد، د، 2004، ص 27)

2-2 العنف الرمزي:

يعرفه بيار بورديو (pierre Bourdieu) بأنه: «عنف نائم خفي هادئ لا مرئي ولا محسوس حتى بالنسبة لضحاياه » (Pierre, B, 1980, p 219)

وهذا العنف الرمزي الذي تتجلى معالمه داخل هذا النسق المجتمعي من قيم وسلوكيات ومعايير ومنظومة اجتماعية وثقافية توحي بطريقة غير مباشرة إلى إثارة العنف الهادئ الذي يختلف عن العنف العادي، ومن هنا يمكن أن نسلط الضوء في دراستنا التي تكمن في الكشف عن العلاقة بين شبكات التواصل الإجتماعي وبين شبابنا اليوم، حيث تجاوز العنف حدوده، وانتقل من السياق الواقعي إلى السياق الافتراضي، من خلال نشر مجموعة من الصور والفيديوهات أو التعليق على المنشورات التي تنشر ظاهرة تفشي العنف الرمزي في رحاب الفضاء الافتراضي،. والعنف الرمزي قد يتخذ رموز تعبيرية من شأنها أن تؤثر على نفسية واجتماعية الفرد دون اللجوء إلى العنف اللفظي أو الجسدي.

3-2 الشباب:

لقد اختلفت وتعددت تعاريف للشباب، حيث أن كل اتجاه أو مدرسة ولها منظورها الخاص في تحديد مفهوم الشباب، لهذا يرى البعض أن:« الشباب ظاهرة اجتماعية تخص أساسا مرحلة من العمر لتعقب مرحلة المراهقة، حيث يبدو خلالها علامات النضج الاجتماعي والنفسي والبيولوجي ». (جرار، ل، 2012، ص 88-89)

4-2 الفايسبوك:

يعرفه حسّان أحمد قمحية بأنه هو: «شبكة تواصل اجتماعي مجانية منتشرة على الإنترنت، تسمح للمستخدمين المسجلين بإنشاء متصفحات أو صفحات شخصية، وتحمل الصور والفيديو، وإرسال الرسائل إلى العائلة والزملاء » (حسّان، أ، 2017، ص 24)، لهذا هو عبارة عن موقع إلكتروني اجتماعي يسمح لمستخدميه التواصل فيما بينهم، ويعمل على إنشاء صفحات ومجموعات افتراضية بمختلف مضامينها حسب ثقافة المستخدم.

5-2 العدوانية:

يعرف محمد على قطب الهمشري العدوان بأنه:« سلوك مقصود يستهدف إلى إلحاق الضرر أو الأذى بالغير، وقد ينتج عن العدوان أذى يصيب إنسانا أو حيوانا، كما قد ينتج عنه تحطيم للأشياء أو الممتلكات، ويكون الدافع وراء العدوان دافعا ذاتيا » (محمد، ع، 2000، ص 08).

لهذا نود القول أنّ هناك صلة وثيقة بين العنف والعدوانية، على اعتبار أنّ العدوانية لها عدة مستويات وأقسام ودرجات، حيث أن السلوك العدواني تترجم بوادره حسب الوضعية الانفعالية الموجود فيها الفرد داخل المجتمع.

3 النظريات المفسرة لظاهرة العنف الرمزي في رحاب الفضاء الافتراضي:

لقد تعددت وتنوعت الاتجاهات والنظريات لقراءة ظاهرة العنف الرمزي في رحاب الفضاء الافتراضي بين ما هو نفسي وما هو اجتماعي، ويمكن تجسيدها على النحو التالي:

1 الإتجاه النّفسي:

أ / العنف من منظور سيجموند فرويد:

تعد هذه النظرية من بين النظريات الأساسية في حقل علم النفس على وجه الخصوص، حيث اهتمت بتفسير العديد من الأمراض والاضطرابات النفسية للفرد، يرى سيمجوند فرويد أنّ أساس الحياة النفسية هي اللاشعور، هذا هو المبدأ الأساسي الذي تنبثق منه فلسفة هذه النظرية،« كما ذهب فرويد إلى تقسيم الجهاز النفسي إلى ثلاثة أقسام وهي: الهو (مجموع الغرائز والرغبات)، الأنا (العقل)، الأنا الأعلى (وهو المجتمع بتقاليده وأعرافه) » (لزهر، م، 2013، ص 34)

من هنا يمكن تفسير ظاهرة العنف الرمزي المتداول على منصات التواصل الاجتماعي، تكمن في الصراعات النفسية الداخلية للفرد، فعندما يرتبك الأنا في محاولته لإيجاد توازن بين الأنا الأعلى والهو، فيحدث خلل وتحدث في نفس الوقت اضطرابات ممّا ينجم عن ظهور سلوكيات خارجة عن مرجعيات الجماعة، وهنا تتجلى معالم ظاهرة العنف بوجود خلل بين هذه المعادلات الثلاثة (الأنا، الهو، الأنا الأعلى)، فالعنف ينشأ نتيجة عدم إشباع حاجات لا يمكن تحقيقها في الواقع، فظاهرة العنف أو العدوانية من وجهة نظر هذا الإتجاه هي ناتجة عن صبغة نفسية محضة الناتجة عن اضطرابات نفسية داخلية، ممّا تنفجر هذه المكبوتات النفسية وتخرج على شكل تعبيرات وإيماءات وتعليقات داخل هذا الفضاء الرحب الإفتراضي.

2 الإتجاه الاجتماعي:

ب/ العنف من منظور إميل دوركايم:

يسعى هذا المنظور إلى تفسير ظاهرة العنف التي أصبحت تؤرق كيان المجتمعات الإنسانية، ليس من منطلق نفسي أو فلسفي بقدر ما هو اجتماعي وأخلاقي.

« إنّ المرض الأساسي الذي يصيب المجتمع الحديث في رأي دوركايم يتمثل في الحالة يسميها "تقسيم العمل الأنومي » (الجوهري، م، 2011، ص 143)

نشب عن المجتمعات الحديثة ظهور أمراض إجتماعية شكّلت تضارب في السلوكيات والقيم وانهيار القواعد العامة للمجتمع، من بين هذه الأمراض نجد ظاهرة العنف المؤسس عبر شبكات التواصل الإجتماعي (الفايسبوك نموذجا)، حيث نجد انغماس شبابنا اليوم على هذه المواقع الافتراضية التي شكّلت لهم واقع افتراضي تذوب فيه المنظومة الأخلاقية والاجتماعية للمجتمعات، مما ينشأ لهم حالة من الأنوميا حسب إميل دوركايم، ويعود تفسير هذه الظاهرة من الناحية التاريخية إلى التطورات التي لحقت بها المجتمعات المعاصرة، انطلاقا من المجتمع البدائي الذي كان يسوده ثقافة التضامن الآلي الذي يحقق التماسك والتضامن والتكافل الاجتماعي، لينتقل وتتطور المجتمعات إلى ما هي عليه اليوم إلى ثقافة التضامن العضوي، ممّا شكّل في نهاية المطاف لهم إلى بروز الفردانية، وعزلة الأفراد عن بعضهم البعض، وغياب حس اجتماعي مشترك، كل هذه العوامل أدت بطبيعة الحال إلى بروز حالات مرضية اجتماعية، وتجلت معالم العنف الرمزي تماشيا مع المجتمع الشبكي التي تؤطره ثقافة الانترنت ومواقع التواصل الاجتماعي على وجه الخصوص، التي خلقت روح الفردانية داخل الأسرة، وأصبح كل واحد وله عالمه الخاص، إلى جانب أن ميزة هذه الفضاءات الافتراضية تترك لمستخدميها حرية التصرف في شتى المجالات والميادين، وفي هذا الصدد نستحضر العنف عبر هذه الوسائط الإتصالية الجديدة، حيث أصبح شباب الفايسبوك يفجّر مكبوتاته ومعاناته وهمومه على حائط الفايسبوك بصبغة تتخذ لغة العنف عبر أشكال عديدة ومتنوعة، عن طريق الكتابة بالنص أو بالصورة أو الفيديو أو المقاطع الصوتية سواء في المنشورات أو التعليقات، لنقل آلامهم وأحلامهم المحبطة في مجتمعهم الواقعي .

3 محركات ومصادر العنف:

للعنف في مجتمعنا سلوكيات وممارسات، وميول واتجاهات ونزعات، وللعنف مصادر ومحركات ومرجعيات، ليست استثنائية، منعزلة أو منفصلة في مصادرها ومرجعياتها ومحركاتها الثقافية، ويتغذى العنف في مجتمعنا بشتى أنماطه وتجلياته، من مصدرين عريضين ألا وهما: الثقافة والسياسة، في مصدره الثقافي يتغذى العنف من عنف

الأفكار والاعتقادات والقيم والممارسات، وحتى من عنف اللغة والمفردات، والمعاني والدلالات الحاملة لمجموعة النظم وأنماط الاعتقاد والتفكير والفعل والتعبير السائد عند الطبقات الشعبية العريضة، وهذه الثقافة هي المغذية لكل أشكال الكريهيات الثقافية التقليدية ذات الطابع العنفي بفعل ثبات كثير من الصور النمطية المشوهة. والثقافة الشعبية نفسها، هي التي تقف وراء كريهيات أخرى تعمل على توتر العلاقات والتفاعلات بين الذات والآخر، وإن كانت هذه الثقافة لا تظهر على السطح، كسب مباشر للعنف الشعبي، فذاك لأنها القوة المحيطية، الكامنة القائمة، التي لا تغذي أفعال العنف فحسب، وإنما تؤطر عنف الأفكار والأفعال والقيم والإعتقادات، ولعل الأكثر بروزا في مجتمعاتنا العربية على سبيل المثال لا الحصر، الانقسام الاجتماعي الجنساني. أولوية "الذكورة" و"الرجولة" بإظهار الصرامة والقسوة والخشونة. اليوم إعادة إنتاج هذا النمط من العنف في ما يسمى ب"جرائم الشرف". تشرعن فيه العنف، بجعله "عنفا مشروعا" لنفسها ولمجتمعها.

وبفعل ثبات كثير من الصور النمطية المشوهة المكتسبة من الثقافة نفسها، هي التي تقف وراء كريهيات أخرى تعمل على توتر العلاقات والتفاعلات وتجلي العنف الرمزي في الأوساط الواقعية الى الافتراضية، وما هو إشكالي اليوم هو إعادة إنتاج ثقافة العنف بعمليات وآليات وتجليات جديدة، ومن هذه التقنيات اليوم الفضاء الإفتراضي في مواقع التواصل الإجتماعي الذي أصبح منصة غنية، بصور لافتة، تلك الصور والعبارات المكتوبة في الصور ونشرها عبر مواقع التواصل الاجتماعي بشكل يعكس رمزيتها العنيفة ويدلي بمضمونها العنيف.

وفي مصدره السياسي يجد العنف إنفصامية/ إزدواجية في خلال الخطابات السياسية والبرامج والمشروعات كونها محركة لأنماط مطابقة من العنف المجتمعي لونا وحجما وإتجاها. فغياب سياسية التنموية في كافة التراب الوطني تعد من أبرز تجليات العنف الرمزي كون الشمالي أحق في التنمية على الجنوب الجزائري، ممّا يكرس سياسة الجهوية لدى شبابنا التي انعكست على جميع الأصعدة حتى في مجال توظيفهم أو دراستهم وفي درجة الاختيار الوظيفي، أصبح الشاب الذي درس في العاصمة له أولوية التوظيف، عكس الذي درس في الجنوب، بالرغم من نفس الدراسة، هذا راجع للسياسة التي تعد في ممارستها تكرس للعنف الرمزي.

كما تعتبر في الآونة الاخيرة مواقع التواصل الاجتماعي بمثابة ميكانيزمات أو أحد الأطراف المؤثرة في ظهور الحراك السياسي في الجزائر، ومازالت في تصعيد سياسي، وبالتالي مواقع التواصل الإجتماعي لها تأثير من الانتقال من العنف الفكري الإفتراضي من خلال تكوين منصة تفاعلية يستطيع مختلف الأفراد المعارضين أو حتى الطبقة العامة تكوين نمط تفاعلي يستطيع من خلاله توسيع نطاق ومدى إيصال الأخبار بالنسبة للفرد بالإضافة إلى أن هناك مضامين تفجر مشاعر الإحباط والعنف لدى مختلف الأفراد إلى تكوين صور نمطية جاهزة عن مجموعة من الشخصيات أو مجموعة من الجماعات مما يؤدي إلى تعميم ونشر الاحتجاج، وبالتالي العنف في المجتمع، وفي الأخير يمكن القول في هاته النقطة أنّ هاته المواقع الإفتراضية أصبحت بمثابة منصة لترويج لمختلف الأفكار السياسية المتنوعة، مهما كانت طبيعتها لتشكل منظومة اتصال وتنظيم لمختلف الأفراد الفاعلين في الفضاء الإفتراضي.

4 العنف الرمزي في رحاب الفضاء الإفتراضي:

أدى التطور التكنولوجي في تغير ملامح الحياة البشرية تغيرا ملحوظا، جوهريا وملموسا وما يعكس لنا هذا التغير تلك الممارسات، والتي يمكن اعتبارها كبدائل عن سابقتها منها على سبيل الذكر لا الحصر، تلك الجلسات العائلية والإجتماعية واقعية بجلسات إفتراضية، وهو ما يعرف بالدردشة الإلكترونية، حيث وفر العالم الإفتراضي حدود الزمان والمكان للفرد.

فمع ظهور المجال الإلكتروني خاصة بعد انتشار شبكة الانترنت تمخضت عنها ظهور مجتمعات لابد أن تتوافق مع طبيعتها، ألا وهي المجتمعات الإفتراضية، مكنّت الأفراد من التفاعل وتكوين علاقات وصداقات بل حتى مزاولة أعمالهم، مختصرة بذلك الوقت وإزالة الحدود الجغرافية إذ أصبحت لا أهمية للمكان، ففقد جوهره وقيمته السابقة، كما أصبح هذا العالم الإفتراضي وجهة كل فرد بغض النظر عن خصوصياته خاصة الشباب كونهم الأكثر استخداما له ويستطيعون تحقيق مالم يستطيعون تحقيقه في العالم الواقعي، لمحدد بالزمان والمكان المقيد وفق تنظيمات وقواعد وضوابط، إذن يمكن القول أنّ العالم الإفتراضي لم يعد بمعزل عن الواقعي بل هو امتدادا له، فالإفتراضي جعل العالم قرية صغيرة، واعتبر وجهة للعديد من الأفراد، حيث هناك عوالم افتراضية عديدة لا حصر لها، **ويعرف** الفضاء الإفتراضي على أنه: «حيز تدمج فيه

المكونات المادية لوسائل الإتصال الذكية ومكونات غير مادية تشمل البيانات والمعلومات ضمن نظام إتصالي شبكي في الإنترنت، ليس لهذا الفضاء محددات زمانية ومكانية، كما أنه ينمو بشكل مستمر ومرن بشكل كبير إذ يوفر مجالا لتطوير نظم الإتصال والتكيف مع أشكال التوصيل الإلكتروني كلها » (مؤيد، ال، 2019، ص24)

« جميع التقنيات المعلوماتية ووسائل الإتصال في الإنترنت التي سمحت للأفراد من جميع أنحاء العالم للارتباط بشبكة تفاعلات مترابطة كونيا » (جوست، ف، 2009، ص 156-157)

"لهذا الفضاء له معنى وشكلا هندسيا جغرافيا رقميا بالرغم من أنها تكون معدومة المكان والزمان، لكن لها مسافات واتجاهات وبعدا " (على، م، 2008، ص126-128)

5 خصائص الفضاء الإفتراضي الجزائري:

ميّز الباحث هواري حمزة من خلال دراسة قدمها معنونة ب: " مواقع التواصل الإجتماعي وإشكالية الفضاء العمومي "، خصائص ميزت الفضاء الإفتراضي الجزائري والمتمثلة على النحو التالي:

1- بروز النخبة الشبابية جديدة تتمثل في المشرفين على كبرى الصفحات التي تدير النقاش على الفايسبوك.

2- تشظي الفضاء العمومي إلى مجموعات إنطوائية يغلب عليها الطابع التنافري والعدائي في التعاطي مع قضايا الشأن العام.

3- إنحصار المجال الخاص لصالح المجال العام

4- سيطرة الطابع الفضائحي في تناول القضايا السياسية بدل النقد والجدل العقلاني الجاد.

5- تشكل مجتمع المدني الإفتراضي بدل تجاوز آليات تهميشية من المجال العمومي التقليدي، ووسطاء جدد بدل وسطاء واقعيين.

6- غياب الحوار والجدل والحجاج العقلاني في تناول قضايا ذات الشأن العام وسيطرة مفردات العمالة والتخوين والعنف الرمزي. (هواري حمزة، 2015، ص 226).

استمر الإنسان أو الفرد عبر مراحل الحياة في مواكبة التقدم، فكان من الضروري تطوير مهارته، بالإضافة إلى حاجة الإنسان إلى الإكتشاف ومدى قدرته على التعامل معها على أساس الرغبة التي ساعدته بشكل كبير في تطوير تلك المهارات، ولعل تقدم

التقنية وما تقدمه من جديد أصبح يمثل منطلقا جديدا، إذ أصبح الفرد في المجتمع يشكل جزءا من هاته التقنية، إذ قام ببناء مجتمع خاص به في فضاء جديد عرف بالفضاء الإفتراضي أين أصبح الفرد هو ذاته مضمونا إتصاليا وأداة لنقل المضمون واستخدام المعلومات، أصبح يعرف باسم المجتمع الإفتراضي.

« فالمجتمع الإفتراضي أو الشبكي يستخدم المعلومات تختلف عن المعلومات التي يستخدمها في المجتمع الواقعي وطرقا مختلفة في الاتصال والحوار والمشاركة، فهو يستخدم المعلومات بشكل مستمر لبناء مجتمعه الخاص. ويربطه بمجتمعات أخرى لذلك فمجتمع الشبكات هو مجتمع العولمة» . (Hammond, A, 2007, p 43)

6 الفضاء الإفتراضي فضاء تفريغ الشحنات السلبية:

إن ظهور الإنسان ذو البعد الواحد هو وليد استخدام الإنترنت بشكل مستمر فأغلب مستخدميها لديهم صفحات خاصة في مواقع التواصل الإجتماعي التي أصبحت تمثل منافذ جديدة للحوار والنشر والمشاركة وزيادة العلاقات الإجتماعية.

يقول الباحث الفرنسي ديبور: « عدد الذين يتصلون بوسائل الإتصال على نحو فائق الفردية في تزايد مستمر، وفقا لذوقهم ولأمزجتهم وزمنيتهم وقت الذروة هو وقتي » (جيل، ل، 2012، ص 275)

فقد أصبح كل الفرد له القدرة على أن يكون مستخدما فاعلا ونشطا ومتفردا في المجتمع بفضل مواقع التواصل الإجتماعي، هناك فضاء مفتوح للحوار وتبادل المعلومات والمشاركة بالأفكار والآراء، فأصبح الفضاء الديمقراطي الذي يتيح للجميع الحصول على المعلومات إلى مالا نهاية، والحديث بحرية واتخاذ رد الفعل لاحقا بعدة أداة تسهم في تجديد العلاقات الإنسانية وتعمقها، فإعطاء حرية النشر لكل مستخدم للشبكة، هذا سوف يسمح بتفريغ الشحنات السلبية التي تتراكم عند الفرد بفعل التوتر والقلق وغيرها من المشاكل التي تصاحب كل تطور تكنولوجي.

إعتبرنا أن حالة الفردية هي نمط الإتصال في الواقع الملموس، فإنها تتحول إلى تواصل ومشاركة اجتماعية في الفضاء الإفتراضي، فحالة الهروب من الواقع المادي في جوهر العزلة التي تدفع الفرد للمشاركة في منظومة تواصلية جديدة تعكس رغبات يصعب البوح بها في واقع يقيد الحرية تجعل الفرد يهرب من مجاله المغلق إلى المجال الواسع المفتوح، لعل أهم تلك الدوافع هو تناقص مجال الحرية والخوف من عقاب السلطة

والتردد في المشاركة بشكل مباشر وعدم الإكتراث بالفرد أو محاولة للتفريغ عن الهموم والمشاكل.

يمكن القول أن الفضاء الإفتراضي يرتبط بشكل وثيق بالانترنت، كما أنه يشكل مجالا وفضاءا بل فرصة أمام الأفراد للتعبير عن آرائهم، هواياتهم، اهتماماتهم وافكارهم والمعلومات المشتركة، يمتاز بحرية التعبير عن آرائهم التي لا يستطيعون التعبير عنها في مجتمعاتهم الواقعية، ففي هذا الفضاء يشكل المشاركون أو المتفاعلون ثقافة من نوع خاص تسمى ثقافة المجال الإفتراضي لها قيمها وعاداتها ولغتها وسلوكها الذي يميزها عن الثقافة الواقعية، ونشير إلى الباحث يونج الذي عرف هذا المجال « بأنه فضاء عام يفتح المجال أمام الأفراد للهروب من قمع الأنظمة الإجتماعية التقليدية » (وليد، ز، 2010، ص 45).

كما يشير الباحث بهاد الدين مزيد في دراسته **المجتمعات الافتراضية بديلا عن الواقعية** إلى هذا: «يبدوا أنّ البشر طوال تاريخهم ظلوا يبحثون عن عالم مواز يعبرون فيه عما لا يستطيعون، أن يعبروا عنه في عالمهم الواقعي، ويحققون عن طريقه ما لا يستطيعون تحقيقه في حياتهم المحدودة بقيود الزمان والمكان والقواعد والتنظيمات، لقد ظل البشر منذ فجر التاريخ يتطلعون إلى الإنعتاق من حدودهم التي يرونها خانقة أحيانا بسبب ظروفهم الاجتماعية والاقتصادية أو النفسية » (بهاد، ال،2012، ص 03)، كما أنه فضاء يسمح بتوثيق العلاقات الإجتماعية، وكذلك قد يكون سبب في الخلافات من جهة أخرى، حيث يرى كين: «المجال العام بأنه نمط خاص من العلاقات المكانية بين شخصين أو أكثر من الناس يجري الإتصال بينهم بواسطة وسائل الإتصال، تثور من خلالها خلافات بشأن علاقات القوة العاملة داخل بيئة التفاعل المتوفرة لهما » (Kean, 1998, p 169)، وفي هذا الصدد يمكن الاستشهاد بهذا المثال في ما يلي :

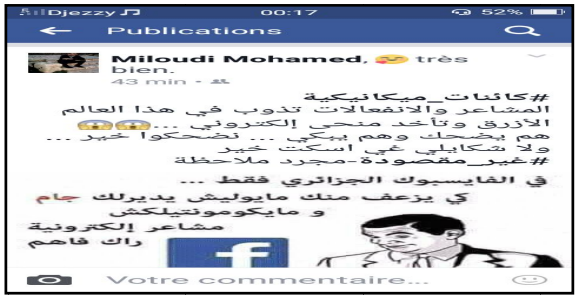

الشكل رقم 01: يوضح الانفعالات السلبية على موقع الفايسبوك

7 الفضاء الفايسبوكي أرضية خصبة في تغذية العنف الرمزي:

أصبحت مواقع التواصل الإجتماعي وبالأخص الفايسبوك يساهم بدرجة كبيرة في توفير صور نمطية جاهزة في تعليم شبابنا، بمعنى تساهم مضامين العنف عبر الفايسبوك في توفير صور نمطية جاهزة لتعلّم مجموعة من السلوكيات العنيفة أو السلوك العنيف في المجتمع لدى شريحة الشباب من خلال هذا الفضاء، ومن خلال مشهدية العنف عبر هاته المنصة الافتراضية بدورها تساهم في زيادة الهوة بين الذات والآخر، كونه من بين أبرز المواقع الأكثر استخداما وانتشارا سواء بين الشباب من مختلف البلدان، أو في نطاق جغرافي محدد سواء بين الإثنيات أو الأقليات والانتماءات التي تؤدي الى نشر العنف الرمزي بين أوساط الشباب.

كما أنّ الفضاء الفايسبوكي أرضية خصبة في تغذية ظاهرة العنف من خلال تشكيل صور وغرس ممارسات بدورها تساهم في نشر ثقافة العنف لدى المتلقى، حيث أصبح الفايسبوك فضاءا تعبيريا إفتراضيا متفتح على جميع الأصعدة، تتجسد فيه كل صور وتمظهرات وتجليات العديد من العاني والرموز والدلالات التي تندرج ضمن العنف الرمزي يسمح لكل مستخدميه في اعتناق كل أشكال التعبير والتفكير العنف الرمزي الذي يعكس لنا عن وجود خلل في البنية الأخلاقية للغة، والذي يزداد يوما بعد يوم نتيجة سرعة الانتشار وكثرة التداول، كم أنه يتميز بالتخفي والانسياب، وفي العقل دون الشعور أن يشعر به الفرد بهذه القوة التي تجعله يخضع لها، ويصبح بذلك أداة تحركه كما تشاء وقت ما تشاء حسب بيار بورديو.

وأصبح الفايسبوك ستار ليختفي وراءه العديد من المستخدمين من خلال ما يعرف بالإسم المستعار وصور مستعارة، وبالتالي يوظف المستخدم شخصية عدائية التي تعتمد على أسلوب الشتم والسب والجدال الحاد المتملق، مما يجعل لغة الحوار والتواصل منعدمة، لكن الأمر الذي يشكل خطورة، ولا بد التوقف عندها هو أن يصبح هذا التداول، وهذا النوع من التعبير في الفايسبوك يسكن الجوانب اللاواعية لدى الفرد، وبذلك يصبح مقبولا في مجتمعنا فلا نجد هناك من يصده أو يرفضه أو يحاربه، وهذا ما يصطلح عليه في الدراسات الاعلامية إضعاف الحساسية ضد الممنوعات الثقافية، وبالتالي يبقى منصة لتجاوز الممنوعات والإكراهات والعبارات البذيئة والنابية ضد

الآخرين حتى يصبح مادة مستهلكة في موقع الفايسبوك وما يجسد لنا هو سوء استعمال هذا الفضاء وبالتالي التفاعل.

8 تمظهرات العنف الرمزي وخصوصياته داخل الفايسبوك:

يتجلى العنف الرمزي من خلال الكثير من الدلالات والمعاني التي يتضمنها بشكل رمزي، فهو كما أشرنا سابقا حسب بيار بورديو متخفي وإنسيابي وراء تلك الدلالات والرموز والمعاني، وبالتالي وراء تلك الممارسات الثقافية والاجتماعية ومنه إضفاء شرعية لممارسة العنف وراء هاته المعاني الرمزية، ومن هنا هو آلية من آليات اخضاع الغير لسلطة غير شرعية، ولهذا يمكن القول أن للعنف الرمزي عدت خصوصيات وتمظهرات من أهمها:

1- الترميز: يهدف إلى فرض السلطة والنفوذ بشكل تعسفي

2- مضامين العنف الرمزي تساهم في زيادة إضعاف حساسية الفرد، إذ تصبح لدى المشاهد العنف عادية سواء في العالم الإفتراضي من خلال مضامين عنيفة أو في الواقع الفعلي.

3- تساهم مواقع التواصل الإجتماعي في تعزيز العنف الرمزي عند الذكور أكثر من الإناث، وهذا ما إستقيناه من دراستنا هذه، حيث نجد العديد من الشباب (فئة الذكور) ينشرون صور ذات مضامين هزلية وتكتسي طابع السخرية من الجنس الآخر (الإناث) عن طريق منشورات تطلب من أعضاء المتفاعيلين على موقع الفايسبوك من وضع عملية الوسم Tags)) حساب للجنس الأنثوي، ويمكن الاستنجاد بالشكل الآتي:

4-

الشكل رقم02: يوضح العنف الرمزي اتجاه الجنس الأنثوي

الفايسبوك يعكس ما يشاهد في حياتنا الإجتماعية والسياسية والاقتصادية اليوم من فوضى في الواقع إلى المواقع، ففي المجال الإجتماعي لشبابيا اليوم، حيث تقريبا كل ما ينشرونه على الفايسبوك أصبح محاكاة لواقعهم المعاش لطرح مشاكلهم النفسية والإجتماعية والعاطفية، والميزة الأكثر تداولا على الفايسبوك، طرح مواضيع تخص هذه الشريحة من المجتمع، كقضية الزواج التي تلقى تتجاوبا كبيرا لديهم عبر الصفحات، ويمكن أن نستدل بالمثال الآتي:

الشكل رقم 03: يوضح أهم المواضيع المتطرقة للشباب على موقع الفايسبوك

يتجلى لنا من خلال الشكل أعلاه، أن ثقافة العنف لدى الشباب حلّقت من الواقع الإجتماعي لهم إلى العالم الافتراضي الذي ينفي جميع القواعد والأطر الاجتماعية والدينية، من خلال فتح النقاش حول مسائل الزواج التي تعد بوابة أساسية لهم، وخير دليل على ذلك تكمن في عدد التفاعلات التي تقدر بحوالي 139 إعجاب على صفحة الضحك والهبال، التي تحمل في طياتها إسم على مسمى وفق إستقبال العديد من المنشورات ذات الطابع الفكاهي والمزاحي من الآخرين، وهذه المنشورات تتأرجح بين ما هو مقدس وما هو مدنس، للتعبير سواءا عن أفراحهم أو أحزانهم، وهذا ما يوضحه الشكل الآتي:

الشكل رقم 04: يوضح نمط التعبير عن السعادة بلغة المخدرات بشتى أنواعها

كما تنطبق لغة العنف على مستوى تعليقات الفاعلين داخل الفضاء الإلكتروني، والغالب في الأمر ما تكون نعوت غير أخلاقية تنسب للحيوانات، الأمر الذي يشكل خطورة على أنّ الشباب المحتك بالفايسبوك، تشبّع على مورفولوجية عنف لغوية، وهذا ما يتجلى في التعليقات على سبيل المثال لا للحصر:

الشكل رقم 05: يوضح مورفولوجية اللغة العنيفة للتعليقات على موقع الفايسبوك

والمجال السياسي الذي صنع الحدث بالجزائر في الآونة الأخيرة وما شهدته من إختلالات في الشأن السياسي منذ 22 فيفري 2019، حيث برزت العديد من الصفحات والمجموعات في نشر العديد من المنشورات والتعليقات ذات البعد العنيف، ونستهل في هذا الصدد، أهم الشعارات التي نادى الحراك الشعبي بالجزائر، على النحو التالي:

الشكل رقم 06: شعار الحسرة ما يجري في الجزائر

فعلا إنها صورة سنخلدها لأبنائنا وأحفادنا في عصر الصورة، لما يجري من أحداث واضطرابات سياسية، والشيء المؤلم في بلد الخيرات، الذي يعتبر بمثابة قارة تحتوي على العديد من الثروات والإمكانيات التي تخولها في الركب بالدول المتطورة، وفي هذا الشكل الصورة تعبر بذاتها من خلال توظيف صورة بيانية توحي أن الجزائر غارقة في بئر، نتيجة تخبطها في مشكلات سياسية التي تتمثل في هوس قيادة السلطة، وتعود مرجعية هذه الصورة بعد حادثة

المواطن الجزائري إسمه " عياش" الذي يقطن بمدينة المسيلة، حيث تداولته العديد من الصحف الوطنية والدولية، بعد سقوطه في بئر إرتوازي، ولم يجد يد المساندة له، وخاصية هذه الصورة التي تحمل ضمنيا لغة العنف حول مآلات وضع الجزائر، وفي نفس الوقت إعطاء وبعث روح الأمل لرفع المشعل للشباب، والخروج من هذه الأزمة السياسية، مع العلم أنّ الحراك الشعبي بالجزائر عرف مسيرات سلمية راقية.

أصبحت شجارات واشتباكات كلامية بأنه عنف " الكل ضد الكل" هي ردود أفعال آنية مشوشة مما يجعل الكثير منها مبررات مقنعة لتسويغ العنف، وتمرير قبوله لدى الآخرين أو معجلات لتسريع الظاهرة

5- كلما زاد التعرض لمواقع التواصل الاجتماعي أدى ذلك الى زيادة العنصرية، وبالتالي العنف.

لقد تعددت وتنوعت قوالب العنف الرمزي في الفضاء الإلكتروني بين عنف الصورة والنص والفيديو، وحتى المقاطع الصوتية التي وفرتها هذه الشبكة الإجتماعية تجسدت

آثارها عبر المنشورات والتعليقات، تأطرت من فكر الإعلام الجديد الذي ينشر ويعرض ثقافة الموسيقى بشتى أنواعها المحلية والدولية، التي تحمل في طياتها عبارات وكلمات تفعل في زيادة السلوك العدواني للشباب

التوصيات والمقترحات:

لقد شكّلت ظاهرة العنف الرمزي عبر شبكات التواصل الإجتماعي من بين المشكلات والمعضلات التي باتت تعاني منها مجتمعاتنا العربية على وجه الخصوص، فالكثير من مستخدمي الفايسبوك خاصة منهم الشباب والمراهقين، بمجرد إرسالهم بعض الصور أو الفيديوهات وتشهيرها وتبادلها بطريقة عفوية ذات طابع هزلي، أدت بهم في نهاية المطاف إلى ما لا يحمد عقباه، ومن هنا أصبح الفايسبوك بين الاستخدام العفوي الغير الناضج وبين العواقب الوخيمة له، لهذا لا بد من الهيئات الرسمية وغير الرسمية من العمل للحد من خطورة هذه الظاهرة الاجتماعية التي دقت ناقوس الخطر علينا، ومن بين الأساليب للخروج من دائرة العنف الرمزي لهذه الفضاءات الإفتراضية، نوردها في ما يلي:

1 تفعيل الشراكة بين المعاهد والجامعات والمخابر والمؤسسات المتنوعة في دراسة السلوك العنيف والمتزاوج مع الفضاء الإفتراضي الرمزي.

2 القيام بدورات توعوية للشباب حول الاستخدام الفضاء الإفتراضي الناتجة لمؤسسات المجتمع المدني من جمعيات تربوية أو ثقافية.

3 ضرورة وضع دورات للتعامل مع محتويات مواقع التواصل الإجتماعي، ويصبح الفرد واعي لكيفية استخدامه وتجنب تأثيراتها السلبية عليه.

4 العمل على إدراج مقياس كيفية الاستفادة من شبكات التواصل الاجتماعي واستغلالها على أحسن وجه ضمن المقررات الدراسية، لبنذ ظاهرة العنف التي لاقت رواجا كبيرا في أوساط الشباب.

5 العمل على نهج وتطبيق سياسة العقوبات الصارمة والردع لمن يروج ثقافة العنف وإيذاء الآخرين للتقليل من حدة هذه الظاهرة.

خاتمة:

ومما سبق، يمكن القول أنّ العنف إرتفع سقفه، بعدما كانت تتغذى مآربه من العالم الواقعي الذي يتميز بجملة من المشاكل والضغوطات الاجتماعية وأزمات، لينتقل بدوره إلى عالم إفتراضي، حيث أصبح بمقدور هؤلاء الشباب الولوج في هذه المنصات الافتراضية لتفريغ طاقاتهم السلبية، وتجلت معالمها بصفة خاصة من منشوراتهم وتعليقاتهم لموقع الفايسبوك، بحكم شبابنا اليوم يعيش في ظل حضارة إلكترونية، وأصبحت مسألة العنف الرمزي تتشكل نظمها من تعابير ورموز كالاستهزاء والسخرية داخل هذا الفضاء الإلكتروني، وهذه الانفعالات السلبية قد يتبعها ضرر حتى في العالم الواقعي بين مستخدمي الفايسبوك.

قائمة المصادر والمراجع:

1. 1 الجوهري محمد، محمود بدران وآخرون (2001)، تاريخ التفكير الاجتماعي (الروّاد)، دار المسيرة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، عمّان.
2. 2 الهمشري محمد علي قطب (2000)، عدوان الأطفال، مكتبة العبيكان، الرياض.
3. جرار ليلى أحمد) 2012)، الفيسبوك والشباب العربي، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع الطبعة الأولى، عمان.
4. جوست فان لوون (2009)، تكنولوجيا الاعلام رؤية نقدية، ترجمة: شويكار زكي، مجموعة النيل العربية، القاهرة.
5. 5 جيل ليبوفيتسكي (2012)، جان سيرو، شاشة العالم ثقافة وسائل الإعلام وسينما عصر الحداثة الفائقة، ترجمة: راوية صادق، المركز القومي للترجمة، القاهرة.
6. دياب محمد (2004)، اقتصاد المعرفة أين نحن منه، مجلة العربي 546 ماي، القاهرة.
7. رحومة على محمد (2008)، علم الاجتماع الآلي مقاربة في علم الاجتماع العربي والاتصال عبر الحاسوب، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب، الكويت.
8. زكي وليد (2010)، المشاركة عبر المجتمع الافتراضي، مجلة الديمقراطية، القاهرة. 8
9. العودة 9 سلمان العودة (2010)، أسئلة العنف، جسور للترجمة والنشر، الطبعة الأولى، بيروت
10. قمحية أحمد حسّان (2017)، الفيسبوك تحت المجهر، دار النخبة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، القاهرة.
11. مزيد بهاد الدين (2012)، المجتمعات الافتراضية بديلا عن الواقعية، دار النشر والتوزيع، جامعة الإمارات العربية المتحدة.
12. مساعدية لزهر (2013)، نظرية الاغتراب بين المنظورين العربي والغربي، دار الخلدونية، الطبعة الأولى، الجزائر
13. مؤيد السعدي (2019)، الاندماج الاتصالي في الإعلام الجديد، منشورات ألفا للوثائق،الجزائر
14. هواري حمزة (2015)، مواقع التواصل الاجتماعي وإشكالية الفضاء العمومي، مجلة العلوم الإنسانية، العدد 6، الجزائر .

المراجع بالأجنبية:

1 Bourdieu Pierre)1980): le Sens Pratique, édition, Minuit, Paris

2 Hammond Allen et Al (2007), The Next 4 Billion: Market Size and Business Strategy at the Base of the Pyramid, World Resources Institute, Washington.

3 Keane John) 1998) , Civil Society: Old Images new visions, Stanford , university press.